# مفهوم فلسفة التاريخ عند ابن خلدون

الدكتور: فيصل صلاح الرشيدي
كلية الآداب والعلوم - زليتن
جامعة المرقب

فقد توجهت بقراءاتي هذه إلى أحد أعلام تراث الفكر الإسلامي وهو العلامة ابن خلدون الذي استطاع أن يترك بصمات واضحة في مجال فلسفة التاريخ ليس على الفكر العربي الإسلامي وحده بل على العالم الغربي أيضاً ونعطي نبذة مختصر عن حياته ومصنفاته العلمية :-

حياته ونشأته :-

ولد عبد الرحمن بن خلدون في غرة رمضان عام 732هـ - 27 من مايو عام 1332م بتونس ولما بلغ سن التعليم تتلمذ على يدي والده العالم الصوفي كما نهل من علم علماء تونس وقد كانت وقتها مركزاً ثقافياً وعلمياً التصوف* والعلم بالفقه والأدب .

فتتلمذ لهم وقرأ عليهم القرآن الكريم وجوده بالقراءات السبع والعشر ودرس عليهم علوم الشريعة من تفسير وحديث* وفقه على المذهب المالكي ولغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب مع عناية ملحوظة بالشعر فضلاً عن الفلسفة والمنطق .

وأسرة ابن خلدون ترجع إلى أصل يماني حضرمي نزح بعض أفرادها إلى الحجاز في الفترة السابقة للإسلام .

ويرجع تاريخ هذه الأسرة في بلاد المغرب إلى الفتح العربي للأندلس وتقترن شهرتها في المغرب بشخصية نابهة من أبنائها هو خالد بن عثمان الذي سمى بخلدون تبجيلاً وتعظيماً من قبل قولهم حمدون وزيدون .

---

* تصوف : قسم من علم الشريعة وهو يدل على الأعمال الباطنة ويدعو إليه والأعمال الباطنة هي أعمال القلوب وسمي هذا العلم علم التصوف وسمي المتصوفون أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن وسموا من عداهم أهل الظواهر وأهل الرسوم ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي القاهرة , 1966 , ص 44 .

* علم الحديث : وأما علوم الحيث فهي كثيرة ومتنوعة لأن بها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما يثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتخفيفاً عنهم باعتبار مصالحهم (ابن خلدون , المقدمة , المكتبة التجارية , دت , ص 440 – 441 ) .

وعرف أفراد هذه الأسرة ببني خلدون نسبة إلى خالد هذا الذي استقر في مدينة قرمونة بالأندلس .

وأسرة ابن خلدون هي التي جمعت إلى رسوخ القدم في السياسة والنبوغ في العلم وإلى التمتع بالجاه والنفوذ والنزوع إلى الإشتغال بالفكر والثقافة .

ويذكر ابن خلدون في تعريفه أن أبا حيان قال عن هذه الأسرة أنها نهاية في النباهة , ولم تزل أعلامها بين رياسة سلطانية ورياسة علمية وفي كنف هذه الأسرة نشأ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر محمد بن خلدون .

ونظراً لتأثره بالبيئة الخاصة فقد ترك لنا مصنفات علمية جليلة تحدث كثيراً من العلماء عن مكانته العلمية في علم العمران وفلسفة التاريخ فنتحدث عن :-

شخصيته العلمية : -

ابن خلدون متعدد المواهب العلمية وليس ذلك راجعاً إلى كثرة إنتاجية وطول تأليفه وتعدد جوانب شخصيته وإنما هو راجع في المقام الأول إلى عمق ما في إنتاجه من أفكار وإلى روعه ما يحتويه من بحوث مختلفة لم يسبق إليها بحال من الأحوال .

فقد درس القرآن الكريم وحفظه وفسره* كما درس الحديث الشريف ورواه وشرحه وتلقى على أبيه وكبار شيوخ تونس وفاس طائفة واسعة من العلوم العقلية واللغوية فدرس الفقه والأصول والكلام * والمنطق والرياضيات والطبيعيات .

وقد صبت تلك الثقافات المتنوعة في واعية ابن خلدون الحافظة وتفاعلت فيها تفاعلاً غذاه وفجره تأمله وقدرته على الإستنباط والقياس والحكم فخرج لنا بأعماله الفكرية الخالدة .

وتحدث ابن خلدون عن العلوم الإنسانية التي تشمل الدين والأخلاق والسياسة فقد أضاف فلاسفة العرب إلى منهج أرسطو الذي بسطه في كتاب ( الجدل ) طريقة ( التواتر ) أي تواتر الشهادات المروية عن فلان عن فلان وهو منهج إسلامي بحث يتميز بنقد الرجال

* التفسير في اللغة التبيين والتوضيح ورفع الإبهام وفي إصطلاح أئمة المسلمين يطلق على معنيين والتوضيح الأول علم من علوم الدين يبحث عن تفسير معاني القرآن وإيضاح ما يراد من ألفاظه وعباراته . ( البستاني , دائرة معارف , ج6 , مطبعة المعارف , 1882 , ص 107 ) .

* علم الكلام : سمي باسم أصول الدين وبعلم النظر والإستدلال وبعلم التوحيد وبعلم النحل . يعرفه ابن خلدون بقوله ( هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد . (الإمام محمد عبده , رسالة التوحيد , القاهرة ,1969 , ص ) .

والثقة بالشخص الذي يروي عنه ونحن نعلم أن سنة الرسول تعتمد على هذا المنهج ولكن الفلاسفة طبقوا هذا المنهج على التاريخ وكان لهم رأي في صحة الحقائق التاريخية تختلف عن منهج أهل السنة .

ذلك هو المعول في صحة الواقعة التاريخية ليس كثرة الشهادات أو عددها بل (اليقين ) الذي تزول معه الريبة .

ولم يبلغ هذا المنهج التاريخي غايته إلا على يدي ابن خلدون صاحب هذا المنهج التاريخي , ولقد لعب كتاب المقدمة دوراً كبيراً في الحضارة الإسلامية وفي الحضارة الأوروبية في العصر الوسيط , ومن الطبيعي أن يأخذ ابن خلدون في هذه الصناعة ( فلسفة التاريخ ) علماً قائماً على قواعد نظرية .

بعد أن تحدثنا عن شخصيته العلمية نصل إلى باكورة ابن خلدون في مصنفاته العلمية .

إبداعات ابن خلدون العلمية :-

من أهم إبداعات ابن خلدون العلمية هي ما يلي :-

1. تحدث عن علاقة فلسفة القانون بفلسفة التاريخ .
2. تكلم عن أحوال العمران البشري لذلك أسس علم الاجتماع قبل أوجست كونت.
3. التعمق في دراسة الظواهر والأحداث التاريخية وهذا يدل على ثراء عقلية ابن خلدون التاريخية والفلسفية .
4. كشف القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر التاريخية .
5. ربط ابن خلدون بين الدراسات الفلسفية والتاريخية والدليل على ذلك أن دراساته في الحرية – الشر – الزمان مرتبطة بالتاريخ حيث يقول إن الضرورة * التاريخية تحكمها من الداخل تماماً القوانين الضرورية للروح المطلقة , وأن هذه الضرورة تتجة نحو التحقيق الفعلي لماهية الروح والأفعال التاريخية عن طريق أفراد إنسانيين . وتاريخ العالم هو محكمة العالم القضائية فيقدم مبدأ التنوير كل حدث تاريخي .

* نزعة تاريخية : 1. وجهة نظر تلتزم عرض المفاهيم العلمية من حيث تطورها عبر التاريخ .

2. مذهب يقرر أن من نتاج العقل الجمعي ولهذا فإن العرض التاريخي لازم لدراسة القانون .

3. هذا الإصطلاح يقال على مذهب ابن خلدون وهيجل .

4. حادث يعقب حادث .

6. قرر أن الظواهر الاجتماعية والعمرانية تحكمها قوانين وكانت وسيلته في الدراسة الاسقراء والقياس* .
7. اكتشف نظرية الأجيار الخاصة بظهور الأسر ونهوضها قبل أن يعرفها ( أوتار كارولونتس ) في أواخر القرن التاسع عشر .
8. عرف قانون التشبيه بالوسط قبل أن يعرفه العالم الطبيعي ( دارون ) بخمسة قرون .
9. اكتشف مبدأ وجود المادة قبل أن يكتشفه العالم الفيلسوف الألماني ( ارنست هيكل ).
10. اكتشاف مبدأ العدالة الاجتماعية قبل ( نوتسيدران , وباكونين ) وماركس .
11. عرف مبدأ الحتمية* قبل رجال الفلسفة الاثيانية وعلماء النفس بقرون عديدة. إذن عند ابن خلدون نزعة تاريخية فلسفية من خلال علم العمران البشري .

مفهوم فلسفة التاريخ عند ابن خلدون )

وليس في كل هذا مبالغة أو حماس إنما الحقيقة الساطعة أن ابن خلدون هو منشئ علم التاريخ القائم على فلسفة معينة تضبطه قوانين عامة ويعرف علم التاريخ بقوله :-

**التاريخ :-** ولد حيثما ولد الإنسان وازدادت قيمته والاهتمام به عندما صار الإنسان يعيش مع أمثاله في مجتمع متحد الغاية والهدف ويقول ابن خلدون ( أن الإنسان هو الذي يضع التاريخ إذن التاريخ علم قائم بذاته له أساليبه الخاصة في البحث وعند هيجل التاريخ دراسة فلسفة متمايزة من الدراسة التجريبية ذلك إن وصف التاريخ وصفاً لوقائع وهو إدراك للأسباب التي من أجلها حدثت هذه الوقائع وعند توينبي التاريخ هو العلم الذي يبحث في الحياة التي تحياها الوحدات البشرية أي المجتمعات ، وفي العلاقات القائمة بينها ) .

والفلسفة التاريخية وجهة نظر تلتزم عرض المفاهيم العلمية من حيث تطورها عبر التاريخ وأن الحوادث الاجتماعية تعتمد في وقوعها على موقف تاريخي معين ومن هذا الوجه تتصف القوانين الاجتماعية بالنسبية التاريخية .

---

* أما القياس في اللغة فهو عبارة عن التقدير ومنه يقال قست الأرض وأما في إصطلاح الأصوليين فهو منقسم إلى قياس العكس وقياس الطرد أما قياس العكس عبارة عن تحصيل نقيض حكم معلوم ما في غيره لأقدامها في علة الحكم وقياس الطرد فقد قيل في عبارات غير مرضية .( الآمدي , الأحكام في أصول الأحكام , مطبعة المدني , دت , ج3 , ص 167 ) .

* حتمية : لها مدلول مادي : جملة الشروط التي تعين حدوث ظاهرة من الظواهر ومدلول مجرد جملة العلل والمعلولات المترابطة ترابطاً ضرورياً والصورة العلمية للنظرية الحتمية هي بقاء الطاقة . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 62 ) .

ونجد أن كلمة مفهوم فلسفة التاريخ متضمن جملة الصفات التي تكفي لتعريف اللفظ مضافاً إليها المعاني التي تلزم عنها لزوماً منطقياً .

ويرى ابن خلدون : مؤسس فرع فلسفة التاريخ أن البحث في هذا الفرع يتجه إلى كشف العوامل المؤثرة في صنع التاريخ للوقوف على طبيعة التاريخ في بعديه* الماضي والمستقبلي وهذه العوامل قوى كافية في المجتمع وفي ظرفيه المكاني والزماني بمعنى وصول المؤرخ إلى فهم أدق للتاريخ عن طريق التسلم بوعي وخبرة أعمق والوصول إلى الأسباب الحقيقية وراء الأحداث ومعرفة الكيفية التي وقع بها الحدث عن طريق العقل والأفكار المنظمة .

- وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون هو علم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ونلاحظ أن الفلسفة هنا تسعى إلى فهم ما ينظم هذا المضمون ويعطيه دلالته ويجعله موضوع اعتبار وعبرة في حياة الشعوب وهو سعي يختلف عن سعي الفلاسفة الآخرين .
- والفلسفة هنا تعني محبة الحكمة بمعنى أن المؤرخ لابد أن يكون حكيماً في تنظيم الحوادث التاريخية .

إن اتجاه ابن خلدون إلى دراسة التراكم التاريخي للمعرفة ( مضمون التاريخ) وهو الاتجاه السلبي لإرساء أساس فلسفة التاريخ ، لأن التاريخ اكتسب من شروط العلم ما يكفي ليجعله لدقته من علوم الحكمة إذن المعرفة التاريخية تقررها مسألتان جوهريتان :-

1. استيعاب العلية ودقة الطريقة التاريخية المتبعة في كشفها .
2. التحقق والفهم الدقيق للتاريخ فيتم تشكيل بناء المعرفة التاريخية ويتكون الوعي وتتحقق الخبرة وتتم فائدة الإقتداء .

بعد أن عرف لنا ابن خلدون مفهوم فلسفة التاريخ يستخدم المنهج المقارن للمقارنة:

بين التاريخ وفلسفة التاريخ عند ابن خلدون :-

من الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن ابن خلدون يفرق بين التاريخ وفلسفة التاريخ وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الدقة في استخدام الألفاظ والمصطلحات التاريخية وهذه المقارنة تشمل ما يأتي :-

أ- ابن خلدون وعلمنه التاريخ .

* بعديه : ما يأتي من التجربة أو يستند إليها وعند أرسطوا البعدي والحكم الذي يصدر عن العلم بالمعلول من حيث أن المعلول متأخر بالطبع عن علته في مقابله (قبلي) . ( د. مراد وهبه وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 32 ) .

ب- ابن خلدون والتفسير الحركي للتاريخ .

ماذا ننتظر من مفكر يقول بذاتية الواقعات التاريخية ؟ وما هو الهدف من ذلك .

- لا شك أن دراستنا لهذا المفكر سوف ننتظر فيه الكثير ونلاحظ أن النتائج الأولى للنظرية التجريبية كانت إحساسة بضرورة تطهير التاريخ من الخرافات والأساطير التي لا تتفق وحقيقة الحوادث المشاهدة .

فإننا في الواقع نقف بإزاء واقعات تاريخية لها قوانين تحكم مسيرتها لأن أمور التاريخ عند ابن خلدون لا تسير اعتباطاً ، ووراء هذا التراكم الهائل (عبر) نستخلص النظام .

ويقول ابن خلدون أن التاريخ فن رواية وهو السمة الظاهرة له فقط ، أما حقيقة التاريخ فإنه علم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، ونظر وتحقيق وتعديل .

- هذه التفرقة بين التاريخ كعلم وبين التاريخ كتفسير لحركة العمران هي أول نتائج الاتجاه التجريبي عند ابن خلدون ، ومن خلال دراساته العميقة للمؤلفات التاريخية أن أدرك التفرقة بين التاريخ كعلم والتاريخ كتفسير عقلاني ، فأراد أن يضع المنهج العاصم من وقوع المؤرخين في مهواة الخطأ فكانت الأسس الأولى للتاريخ كعلم .
- وحركة التاريخ تتبع في مسيرتها قانوناً معيناً وهذا القانون العام لهذا التطور التاريخي مرتبط بالأحداث التاريخية وبعد ذلك يفسر علمنة التاريخ .
- ابن خلدون وعلمنه التاريخ :-

إن شهرة ابن خلدون في دوائر المعارف العالمية تبدو أنه رائد " لفلسفة التاريخ " فقد قدمته دائرة المعارف البريطانية على أنه مؤرخ عربي وعالم اجتماع أشتهر كرائد لفلسفة التاريخ وهو الثمرة الناضجة لمنهجه التجريبي وتحليله الفلسفي للتاريخ أو حركة المجتمع مرتبط بمنطقة شمال أفريقيا وعلم العمران البشري .

- إن الدراسات التي تقرر أن العلامة العربي تفوق على نفسه في مجال فلسفة التاريخ فهو ليس مؤرخاً عادياً لتاريخ العرب كما تفوق على الغرب :-

( مثل فيكو – منتسكيو – هيجل – ماركس ) وكثير من النظريات الفلسفية الحديثة فكانت المقارنات تنتهي إلى أن ابن خلدون قد سبق هؤلاء في وضع الأساس الفلسفي للتاريخ ويظهر ذلك من خلال تأثر العلماء الأوروبيين به .

- ومن يتصفح الكتاب الثاني في مؤلفه (العبر) بعد دراسة المقدمة والكتاب الأول وفهم منهجه في البحث ، تبهره الدقة العلمية في سرد الأحداث والأخبار ووضع الأنساب على شكل شجرة ظاهرة للعيان في صفحة واحدة.

ونلاحظ أن ابن خلدون في عرضه للأشياء وفي تحليله يهتم بالجانب الواقعي منها وما يتفق وطبائع البشر والحوادث من خلال النظم التاريخية التي وضعها لنا ابن خلدون لكي يفرق بين التاريخ وفلسفة التاريخ وكذلك شحه لعلمنة التاريخ وأيضاً يستخدم المنهج النقدي بكل تفحيص وتمحيص لفن رواية التاريخ .

- **التاريخ وفن الرواية :-**

نلاحظ أن العلامة العربي ابن خلدون لا يرضى أن يكون مجرد ناقل للأخبار فقط ولكنه يدقق في اختبار الخبر لأن التاريخ كعلم ( له أصول ومناهج بحثه الخاصة به – وقوانينه الصارمة التي لا تتبدل ولا تتغير ومعرفة هذه القوانين هي أساس المؤرخ وينبه ابن خلدون على الجانب السلبي والايجابي لفن رواية التاريخ فيقول :-

هناك جانب سلبي : في منهجه والذي يحذر فيه من الثقة بالناقلين أو التشيع للآراء السابقة والمذاهب .

أما الجانب الايجابي : من منهجه ويجعل له الأهمية المطلقة على كل ما سبق من قواعد* وإرشادات وتحري الصدق من الكذب في الأخبار التاريخية وأن تكون هذه الأخبار مطابقة للواقع المشاهد .

والتمحيص الذي يعنيه ابن خلدون هو تطهير التاريخ من الخرافات* والأساطير بتطبيق قاعدة المطابقة ، ومعالج إخفاء الحقيقة نتيجة للتشيع إذن تصبح الأحداث التاريخية في دراسات ابن خلدون واضحة المعالم منذ بداية عمله وفي فلسفة التاريخ بوجه خاص من خلال المنطلق الواقعي والحقائق الثابتة .

الجانب الفلسفي في الفكر الخلدوني :-

---

* قاعدة : قضية كلية منطقية على جميع جزئياتها وقول يوضح ما يجب أن يكون فيقال قاعدة اخلاقية او منطقية ، ويقول ديكارت في مفتتح كتابه ( مقال في المنهج ) يجد القارئ في القسم الاول ملاحظات تتعلق بالعلوم المختلفة ، وفي القسم الثاني القواعد الرئيسية للمنهج . (د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 127 ) .

* خرافة : تقال على جملة الأفعال أو الألفاظ أو الإعداد التي يظن أنها تجلب السعد أو النحس وهي ارتباط بمبدأ أو منهج من غير نقد أو تحليل . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 71 ) .

**ابن خلدون والتفسير الحركي للتاريخ :-**

منهجه في البحث والسؤال الذي ينبغي أن يضعه الباحث في هذا المجال هو:-

ما هي فلسفة التاريخ ؟

وما هو موقف ابن خلدون من فلسفة التاريخ ؟

نجد أن ابن خلدون يتعرض لفلسفة التاريخ من خلال المنهج التحليلي* لذلك أصبح مفسراً للتاريخ وفلسفة التاريخ تعني في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية فتسعى لاكتشاف العوامل الأساسية التي تؤثر في سير الوقائع التاريخية وتعمل على استنباط القوانين العامة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون والأجيال .

- لذلك استخدم ابن خلدون منهج التحليل والتغير في دراسة الوقائع التاريخية وبالأخص في دراسته للمغرب العربي – والقرون الوسطى من قوى سياسية واقتصادية ..

**ربط ابن خلدون بين علم السياسة ودراسة التاريخ :-**

درس السياسة في الاجتماع الإنساني حيث يقول ( أن الملك والدول العامة إنما يحصلان بالقبيل والعصبية ، وأن الدول إن استقرت وتمهدت فقد تستغني عن العصبية ، وأن الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين وأن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية ، وأن للدول أعماراً طبيعية كما للأشخاص ، وأن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع ويستخدم ابن خلدون القواعد لإرشاد العقل عن طريق النظر الداخلي أو البصيرة من غير واسطة وهي إدراكنا روح مراقب إدراكاً حياً متغيراً ولا حكم التصور المغش والعديم النظام طبيعته ولكنه إدراك واضح بين لروح سليم مراقب ناشئ عن نور العقل وحده .

ويتميز منهج ابن خلدون في دراسة فلسفة التاريخ **بالمنهج النقدي** * الفلسفي:-

إذ أنه يستخدم التحليل النصي وقراءة النصوص التاريخية الخاصة بالأحداث والفلاسفة والاعتماد عليها اعتماداً كاملاً يذكر طبيعتها المختلفة والاستشهاد بها بالطريقة العلمية المنظمة ويذكر أرقام الفقرات .

---

* تحليل : عند أرسطو التحليل هو المنطق الصوري والتحليلات الأولى والثانية والتحليلات تدل بالذات على تحليل القياس إلى أشكاله وتحليل ترنسندنتالي يقصد به كانط تفسير الأحكام العملية أي التركيبية القبلية وهو ينقسم إلى قسمين تحليل المعاني وتحليل المبادئ وتحليل المعاني يدور على المقولات واستنباط المقولات . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 37 ) .

* نقدي : روح نقدية تفيد التساؤل عن قيمة أي قضية اما من حيث مضمونها فيسمى نقد باطني واما من حيث مصدرها ومبتدؤها فيسمى نقد خارجي . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 178 ) .

ويربط بين منهج قراءة النص والاعتماد على مؤلفات كل فيلسوف والربط بين الأعلام والمذاهب ليقدم لنا تاريخاً فلسفياً منظماً مما سبق يتضح لنا أن ابن خلدون استخدم المنهج المقارن والمنهج النقدي والتحليلي ثم بعد ذلك يضع القوانين لمفهوم فلسفة التاريخ والظواهر والأحداث التاريخية .

**القوانين عند ابن خلدون في دراسته لفلسفة التاريخ :-**

شهد ابن خلدون حقبة من حقب الانهيار التاريخي في منطقة ما من العالم هذه الإحداث التاريخية أثرت في دراسته لفلسفة التاريخ وكان شاهد عصر دراسته عن وعي وخبره وسبق دارون في وضع نظريته والدليل على ذلك :

1. حيث يقول دارون ( أن أهم القوانين في العالم الاجتماعي هي قوانين الحركة والتطور التي تتبع الوجه السياسي والتي تشبه قوانين الكائنات الحية في العلم الطبيعي وهي تتطور من الصغر إلى النمو إلى الكبر إلى الهرم .
2. قد أدرك ابن خلدون أن التناقض* أساس حركة الكون كما فعل " هيجل " حينما تصور الكون على أساس " كل عضوي " حتى يشيع فيه التناقض .

- **التعاقب الدوري لحركة التاريخ :-** حركة التاريخ تسير في أربع حلقات متتابعة وهي ( البداوة – الملك – الحضارة – الانهيار )
- وفلسفة التاريخ في تطور المجتمع البشري تقوم على فكرة التقدم المطلق للحياة البشرية وأن ابن خلدون يعد فيلسوفاً للتاريخ الإسلامي .

وفضل ابن خلدون ينحصر في أنه أشار إلى أن التاريخ له فلسفة تستخلص من تحليل حركة التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

ويشير ابن خلدون إلى أهمية المنهج النقدي في دراسة فلسفة التاريخ حيث يقول:-

- **الفحص النقدي الدقيق لمنهج المؤرخ يدخل في مجال النشاط التحليلي للفلسفة ويحتوي على أفكار رئيسية وهي ما يأتي :-**

1. طبيعة الفكر .
2. قوانين المنطق* والاتساق والبعد عن السند والعنعنة دون بحث أو تنقيب .

* التناقض هو اختلاف القضيتين بالإيجاب أو السلب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى كقولنا زيد إنسان وزيد ليس بإنسان وعند كانط المتناقضات ترجع إلى التعارض بين النطق والفهم وقد وردت كلها عند زينون الإيلي . ( د. مراد وهبة وآخرين . المعجم الفلسفي . ص 50 ) .

3. العلاقات بين أفكارنا والواقع .
4. طبيعة الحقيقة .
5. مدى صلاحية المنهج توصل إلى الحقيقة والمعرفة .

لذلك تقوم فلسفة التاريخ بدور الناقد الأعلى إذ أنها تقوم باختبار دقيق للدراسات التاريخية للظواهر الاجتماعية لاستنباط الأحداث التاريخية الصحيحة .

**المنهج المستخدم عند ابن خلدون في دراسة فلسفة التاريخ :-**

1. يستخدم ابن خلدون المنهج الاستقرائي* في فلسفة التاريخ لأهميته في إكتشاف الحقائق ولأن :

العلاقة وطيدة بين المنهج الاستقرائي وفلسفة التاريخ لأن المنهج الاستقرائي يبدأ من الجزيئات والتاريخ يبدأ من دراسة الإنسان الذي هو جزء من المجتمع الإنساني لذلك نقول بأنه سبق هيجل وداورل في استخدام المنهج الإستقرائي .

ويقول ابن خلدون : فالمحصلة التي نراها في التاريخ – الأخبار – هي بينت الصلة بين الحركة العامة والعوامل الخاصة " الظرفية " .

2. المنهج الاستقرائي فن من فنون المعرفة : لأنه يحوي أخباراً عن الزمن الماضي غير أن هذه الأخبار ليست كل شيء في التاريخ وإنما هي الصورة التي تبدو لنا هي محصلة فعلها الفرد .
3. المنهج التجريبي* :-

---

* المنطق عند العرب يقع في المقام الأول فهو المدخل إلى الفلسفة وعلم الكلام ويطلق أحياناً ( معيار العلوم ) وللغزالي كتاب في المنطق يحمل هذا الاسم .

- يقول الجرجاني : المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر فهو علم عملي آلي كما أن الحكمة علم نظري غير آلي فالآلة بمنزلة الجنس والقانونية يخرج الآلات الجزئية لأرباب الصنائع وقوله تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر يخرج العلوم القانونية النى لا تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر بل في المقال كالعلوم العربية . ( الجرجاني , التعريفات , مصطفى الحلبي , 1938 , ص 220 )

* الاستقراء : هو حكم على كل الوجود وذلك الحكم في جزئيات ذلك الكل ، والاستقراء بذكر الجزئيات لكي تنتقل الى الكليات الذي يمثلها والذي هو علة حصولها على المحمول فتصل بالنتيجة إلى معرفة جديدة . (ابن رشد , تلخيص كتاب البرهان , تحقيق الدكتور محمود قاسم , الهيئة العامة للكتاب , ص 102 )

* تجريبي (مذهب ) ينكر وجود مبادئ أولية خاصة بالعقل ويقرر التجربة مصدر المعرفة وفي مقابلة مذهب عقلي . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 36 ) .

يقول ابن خلدون تحدث الأحداث ( الوقائع التاريخية ) ويتبع المؤرخ التجربة واستنباط الحقائق التاريخية عن طريق الظواهر الحية .

ومن مميزات المنهج الاستقرائي التجريبي عند ابن خلدون : يحاول استخراج القوانين العامة من ملاحظة الظواهر الحية وموضوع علم التاريخ معرفة الحقائق التي يستطيع الآن الإنسان أن يحصلها بعقله الطبيعي دون معونة خارجية .

4. المنهج ( الإستنتاجي ) مرتبط بالعقلانية بين الزمان والمكان بمعنى أنه يستخدم عقله وفكره في تنظيم الأفكار التاريخية عن طريق الطبيعة والنظام ، والطبيعة ذو نظام والآن من يتجه إلى ذلك عن طريق الفكر ، إذن يحتاج صاحب هذا الفن ( فلسفة التاريخ ) إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأمصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل .
5. المنهج النقدي : نقد التاريخ لأن تاريخ الحضارة يشمل ( الثقافة – التغير الاقتصادي – الاجتماعي – الوقائع – الحروب ) .

والمنهج النقدي يشمل البحث عن القوانين المحيطة بالظواهر الاجتماعية لأن أصبحت فلسفة التاريخ صارت في الدراسات الحديثة مصطلحاً يشير إلى جانبين مختلفين من جوانب دراسة التاريخ ودراسة مناهج البحث في هذا العلم في وجهة النظر الفلسفية .

**القوانين والقواعد العلمية لشروط مناهج* البحث عند ابن خلدون :-**

وكيفما كان انتماء موضوع البحث العلمي إلى أي مجال من المجالات السابقة فإنه يهدف إلى تحقيق غاية علمية مثل اختراع المعدوم – جمع المتفرق – تكميل الناقص تفصيل المجمل – تهذيب المطول – ترتيب المضطرب – تعيين المبهم – تبيين الخطأ .

**ويحدد ابن خلدون هذه الغايات بقوله :-**

إن الناس حصروا مقاصد التأليف التي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها **فعددها سبعة :-**

---

* المنهج والمنهاج في اللغة : الطريق الواضح ونهج الطريق سلكه ، والنهج : البين الواضح والبحث في اللغة : الكشف ، وبحث الأرض : حفرها وطلب الشيء فيها ، وبحث الأمر وفيه إجتهد وتعرف حقيقته وبحث عنه : سأل واستقصى والكلمتان ( منهاج ، وبحث ) من الكلمات العربية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم .

- مناهج البحث : قسم من اقسام المنطق يبحث في منهج العلوم وشروط المعرفة . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 170 ) .

1. استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على إيصاله بغيره لتعم الفائدة والمنفعة به كما وقع في أصول الفقه ، تكلم الشافعي أولاً في الأدلة الشرعية اللفظية ولخصها ثم جاء الحنفية فاستنبطوا مسائل القياس واستوعبوها إذن الإستنباط عند ابن خلدون يهتم باستخراج المعاني من النصوص بفرط الدهن وقوة القريحة .
2. أن يقف على الكلام الأوليين وتأليفهم ، فيجدها مستغلقة على الإفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره .
3. أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ويستوثق عن ذلك بالبرهان* الذي لا مدخل للشك فيه ، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده .
4. أن يكون الفن الواحد قد نقصت فيه مسائل أو فصول بحسب انقسام فيقصد المطلع موضوعه ، فيقص المطلق على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمن الفن بكمال مسائله وفضوله .
5. أن تكون المسائل العلمية قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منظمة فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها ويجعل كل مسالة في بابها .
6. أن تكون مسائل العلم متفرقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبه بعض العلماء إلى موضوع ذلك الفن وجمع مسائله فيفعل ذلك كما وقع في علم البيان .
7. أن يكون الشيء من التأليف التي هو أمهات للفنون مطولاً مهماً فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك الاختصار والإيجاز وحذف المتكرر إن وقع مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول .

**مضمون فلسفة التاريخ عند ابن خلدون :-**

إن ابن خلدون توصل إلى وضع مضمون وجوهر لفلسفة التاريخ وسن للبحث التاريخي الفلسفي منهجاً يعد فتحاً جديداً في عالم التاريخ والفكر وتشمل فلسفة التاريخ عنده ما يلي:-

* البرهان : هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت إبتداء وهي الضروريات أو بواسطة وهي النظريات والحد الأوسط فيه لابد أن يكون علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر وللبرهان عند أرسطوا تعريفان قياس منتج للعلم وقياس منتظم من مقدمات صادقة أولية سابقة في العلم على النتيجة وأبين منها وعلة لزومها . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 31 ) .

1. تهتم فلسفة التاريخ بالحدث التاريخي ( لماذا وقع الحدث ، وكيف جاء الإخبار عنه ولماذا تمت صياغة الخبر بهذا الشكل ، وما هي النتائج التي تترتب على حركة التاريخ ؟
2. الذي يمارس كتابه هذا النوع من التاريخ هو فيلسوف لأن عمله يقع أصلاً في حقل الفلسفة ( الحكمة )* فالعملية كما يراها ابن خلدون حالة مستترة خلف الحديث وإظهارها يستوجب مراناً يتزود به المعنى بالمعرفة في بعدها الماضي ومراناً على قراءة الخبر* بمعنى تنشيط عملية ذهنية تحلل الخبر .

**ومن أهمية مضمون فلسفة التاريخ هي ما يأتي :-**

أ- تبحث في خلفياته ( الحدث ) وعن مبتغاها والخروج بالحدث من دائرته الذاتية إلى دائرة أوسع أي البعد عن الأهواء والرغبات الشخصية التي تختص بالإنسان إلى النظرة الموضوعية الشمولية التي تبتعد تماماً عن الذاتية.

ب- التدرج في كشف ارتباطاته بمعنى استخدام الحكمة في ترتيب وتنظيم الأفكار التاريخية لكي يكون الخبر مفيداً للجميع ، ويحلل الخبر عن طريق الموضوعية العلمية التاريخية .

ج- إخضاع كل المعلومات المتحصلة للتحليل والتدقيق بمعنى أن المؤرخ المستخدم لفلسفة التاريخ لابد أن يهتم بتحليل الحدث والأخبار التاريخية حيث يقوم بتقسيم الأفكار المركبة إلى أفكار بسيطة تفيد المجتمع .

د- إتباع الدقة الموضوعية العلمية بمعنى أن المؤرخ لابد أن يكون دقيقاً في استنباط الحقائق التاريخية المرتبطة بالزمان والمكان .

---

* الحكمة : في العصر اليوناني القديم الحكمة مرادفة للفظ " فلسفة " والحكمة صناعة نظر يستفيد منها الانسان يحصل ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية . ( د. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , ص 67 ) .

* الخبر نوعان مرسل ومسند فالمرسل منه ما أرسله الراوي وإرسالاً من غير اسناد إلى راوي آخر وهو حجة عندنا كالمسند والمسند ما أسنده الراوي إلى راوي آخر : والمسند أنواع متواتر ومشهور وآحاد .

هـ- إعادة تقديم الخبر في ضوء هذا البحث ، والخبر لابد أن يفيد شيئاً جديداً ويكون مرتبطاً بموضوع البحث التاريخي بمعنى أن العنوان يفيد المضمون الداخلي لدراسة التاريخ , وينبه ابن خلدون إلى النقل المتواتر* الصحيح .

ونبه ابن خلدون أيضاً إلى أن الحدث التاريخي أن نحكم بقبوله أو تزييفه بحسب مطابقته لأحوال العمران أو عدم مطابقته لها والظواهر الاجتماعية ظواهر طبيعية يمكن إدراكها ومعرفة أسبابها وما يلحقها من العوارض ذاتها حتى يصبح الخبر يفيد اليقين* والبعد عن الظن* وهذه من ضروريات دراسة علم التاريخ وفلسفته .

**( اثر ابن خلدون في الفكر الفلسفي التاريخي العالمي )**

نوضح في هذه الفقرة إلى أي مدى كان تأثير ابن خلدون في الحضارة الغربية وكذلك أثره في فكر الفلاسفة الغربيين وبالأخص هيجل وفولتير .

1. يقول ( روبرت فلنت ) في كتابه تاريخ فلسفة التاريخ " أن أول كاتب اتخذ البحث في التاريخ موضوعاً لعلم خاص هو ابن خلدون " .

وتحدث عن العقلانية بين الزمان والمكان وكذلك الحتمية الاجتماعية وحوادث التاريخ تفسير تفسيراً فلسفياً مرضياً التفكير التاريخي هو نسبي تابع لظروف الزمان والمكان .

2. برهن ( بوتول ) على أن ابن خلدون رائد من رواد علم الاجتماع وفلسفة التاريخ الحديث – لقد أراد أن يعلل حوادث التاريخ بطبائع العمران فساقه هذا التعليل إلى النظر في موضوع آخر لا يقل خطورة عن الموضوع الأول وهو ما أطلق عليه اليوم اسم فلسفة التاريخ من خلال نقده للتاريخ – مغالطة المؤرخين – حاجة المؤرخ إلى علم العمران البشري .
3. يقول الفيلسوف المؤرخ ( آرنولد توينبي ) أن ابن خلدون في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ .

---

* النقل المتواتر هو الخبر الثالث على ألسنة قوم لا يتصور تواطئهم على الكذب . ( الآمدي , الأحكام في أصول الأحكام , ص 14 )

* اليقين : العلم الذي لاشك معه وفي الإصطلاح اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال وقيل اليقين رؤية العيان . (الجرجاني , التعريفات , ص 331 )

* الظن : معرفة أدنى من اليقين تحتمل الشك ولا تصل إلا مستوى العلم . (د. إبراهيم مذكور , المعجم الفلسفي , مجمع اللغة العربية , 1983 , ص 114 )

4. يقول ( دي بور ) أن المؤرخون القدماء لم يورثونا التاريخ علماً من العلوم يقوم على أساس فلسفي على الرغم من جمال أسلوب بعضهم وأن القدماء كانوا يعللون عدم بلوغ الإنسانية منذ زمن بعيد درجة أعلى .

أما ابن خلدون فكان أول من حاول أن يربط بين تطور الاجتماع الإنساني من جهة وبين علله القريبة مع حسن إدراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيدة بالأدلة المقنعة .

5. إن شهرة ابن خلدون في دوائر المعارف العالمية تبدو في أنه رائد لفلسفة التاريخ فقد قدمته دائرة المعارف البريطانية على أنه مؤرخ عربي وعالم اجتماع اشتهر كرائد لفلسفة التاريخ .
6. تفوق على الغرب مثل ( مثل فيكو – متسكيو – هيجل – ماركس ) وكثير من النظريات الفلسفية الحديثة فكانت المقارنات تنتهي إلى أن ابن خلدون قد سبق هؤلاء في وضع الأساس الفلسفي للتاريخ .
7. طريقة فولتير في القرن الثامن عشر تشابه وتقارب طريقة ابن خلدون إذ اتجه فولتير إلى تحري صحة الأخبار والثقة بالمخبرين في نقده وهذا ما فعله ابن خلدون إذا شرط أن يخضع الأخبار لنقد خارجي دقيق ونقد داخلي دقيق.

## المراجع


1. ابن خلدون , العبر والمبتدأ والخبر : تصحيح أبو عبد الله السعيد المندور , بيروت لبنان , الطبعة الأولى , 1994 .
2. ابن خلدون : المقدمة تحقيق د / على عبد الواحد وافي طبعة لجنة البيان القاهرة , سنة 1957 م .
3. ابن خلدون : د/ النعمان القاضي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية , القاهرة , سنة 1970م .
4. أحمد فؤاد الأهواني : الفلسفة الإسلامية , دار القلم , سنة 1962 م.
5. الآمدي : الأحكام في أصول الأحكام , الجزء الأول والجزء الرابع , مطبعة المدني , د ت .
6. أنور الجندي : الموسوعة الإسلامية , دار الكتاب اللبناني , الطبعة الأولى , 1982م .

7. البستاني , دائرة معارف , المجلد الاول والسادس , مطبعة المعارف , 1882 .
8. الجرجاني : التعريفات , الناشر مصطفى الحلبي , 1938 .
9. جميل صلينا : مقال عن ابن خلدون في دائرة المعارف , بيروت المجلد 3 , 1970م .
10. حسن سيد محمد : الدليل إلى منهج البحث العلمي , دار المعارف , الطبعة الأولى , سنة 1991م .
11. الدكتور إبراهيم بيومي مدكور , المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية , الهيئة العامة للكتاب , 1983 .
12. دي بور , تاريخ الفلسفة في الإسلام , نقله للعربية د . محمد عبد الهادي أبو ريده , دار النهضة العربية , بيروت , ط/3 , 1954 .
13. ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون , القاهرة , 1953م.
14. سميع دغيم : موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي الجزء الثاني , مكتبة لبنان , الطبعة الأولى , 1998م .
15. عبد الرحمن بدوي : مؤلفات ابن خلدون , القاهرة , 1962م .
16. عفت الشرقاوي : في فلسفة الحضارة , دار النهضة العربية , القاهرة , الطبعة الرابعة , 1985م .
17. على الشابي : مباحث في علم الكلام والفلسفة , دار بوسلامة للنشر تونس , الطبعة الثانية , 1977م .
18. غماستون بوتول : ابن خلدون فلسفته الاجتماعية , ترجمة عادل زعيتر , الطبعة الثانية , 1984م .
19. محمد عبد الله عنان : ابن خلدون حياته وتراثه الفكري , القاهرة , 1953م .
20. محمد على نشأة , رائد علم الاقتصاد بن خلدون , القاهرة , 1953م.
21. محمود السعيد الكردي : ابن خلدون مقال في المنهج التجريبي , المنشأة العامة للنشر والتوزيع , طرابلس , 1984م .
22. مراد وهبة وآخرين , المعجم الفلسفي , القاهرة , 1966م .
23. ملحم قربان , اشكالات نقد منهجي في الفلسفة والفكر السياسي وفلسفة التاريخ , المؤسسة الجامعية للنشر , الطبعة الثالثة , 1981م.
24. يوسف كرم , تاريخ الفلسفة الحديثة , القلم بيروت , د.ت .